﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٣٠ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ٣١﴾ [الإنسان: 29 - 31]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

تفضيل وبيان؛ لهداية الحيران؛ بأنَّ التوصُّل إلى روضات النَّعيم بيد حكيم عليم

لمّا ذكر المولى العليُّ سبحانه أحوال السُّعداء والأشقياء؛ أرشد سبحانه إلى أنَّ في هذا الذِّكر تذكرةً وموعظةً للخلق، وفوائد جمَّة لمن ألقى سمعه وأحضر قلبه وكانت نفسه مقبلة على ما ألقى إليه سمعه[1]، ولمّا ناط اختيارهم سبيل مرضاة الله بمشيئتهم؛ أعقبه بالتَّنبيه إلى الإقبال على طلب مرضاة الله للتَّوسُّل برضاه إلى تيسير سلوك سبل الخير لهم؛ لأنَّهم إذا كانوا منه بمحلِّ الرِّضا والعناية؛ لطف بهم ويسَّر لهم ما يعسر على النُّفوس مِن المصابرة على ترك الشَّهوات المهلكة، وإذا لم يسعَوْا إلى مرضاة ربِّهم وكَلَهم إلى أحوالهم التي تعوَّدوها فاقتحمت بهم مهامَّه العماية؛ إذ هم محفوفون بأسباب الضَّلال بما استقرَّت عليه جبلّاتهم مِن إيثار الشَّهوات والاندفاع مع عصائب الضَّلالات[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَذۡكِرَةٞ﴾: تارةً يقال، ويرادُ به هيئةٌ للنَّفس بها يمكنُ للإنسان أن يحفظَ ما يَقتنيه منَ المعرفة، وهو كالحفظِ إلّا أنَّ الحفظَ يقال اعتبارًا بإحرازِه، والذِّكْرُ يقال اعتبارًا باستحضارِه، وتارةً يقال لحضور الشَّيءِ في القلب أوِ القول، والذِّكرُ قد يكون عن نسيانٍ،

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 761، والزُّحيليُّ، التَّفسير المنير: 29/ 304، والهرريُّ، حدائق الرَّوح والرَّيحان: 30/ 509.

(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 412، والبقاعيُّ، نظم الدُّرر: 21/ 160.

وقد يكون لا عن نسيانٍ بل عن إدامةِ حفظٍ، والتَّذْكِرَةُ: ما يُتذكَّرُ به الشَّيءُ، أو تُستذكَرُ به الحاجةُ، وهو أعمُّ منَ الدِّلالة والأمارةِ، وكثيرٌ من صيَغ (التَّذكير) و(التَّذكُّر) تصلحُ لِما هو ضدُّ النّسيان ولمعنى الوعظِ وهو منه؛ لأنَّه إذا تذكَّر قد يزدجرُ، فيخشى الوقوعَ في الخطأ[1].

2) ﴿يُدۡخِلُ﴾: الدُّخول: نقيض الخروج. ويُستَعمَل ذلك في المكان، والزَّمان، والأعمال، يقال: دخل مكان كذا[2]. يقال: دَخَلْتُ البيت. والصَّحيح فيه أن تريد دَخَلْتُ إلى البيت، وحَذَفْتَ حرف الجرّ فانتصب انتصابَ المفعول به[3] ودَخَلَ بامرأته: كناية عن الإفضاء إليها، قال تعالى: ﴿مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ﴾ [النِّساء: 23][4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يرشدنا المولى ﷻ في ختام هذه السّورة الكريمة - بعد ذكر أحوال السُّعداء والأشقياء - إلى الطّاعة ويحذِّرنا من المعصية؛ فيُبيِّنُ سبحانه أنَّ هذه السّورة فيها خير موعظة لمن اتَّخذ بالإيمان والتَّقوى إلى مرضاة ربِّه طريقًا يوصِّله إلى مغفرته ورضوانه، واتِّخاذ هذا الطَّريق المَوصِّل إلى المغفرة والرِّضوان لا يكون إلّا بتوفيق وإرادة من الكريم الرَّحمن؛ لأنَّه سبحانه العليم بأحوال خلقه، الحكيم في تدبيره وصنعه، وهو سبحانه وحده الَّذي يُدْخِل مَنْ شاء مِنْ عباده جنَّته حسب مشيئته وحكمته وهم المؤمنون، وأمّا المشركون الظّالمون فقد هيَّأ لهم في الآخرة عذابًا مؤلمًا موجعًا، وهو عذاب جهنَّم[5].

سـورة الإنسـان فيها خير موعظة لـلـمـتَّـعـظـين، وإرادة الله فوق إرادة الـنّـاس أجمعين

(1) الراغب، المفردات: (ذكر).
(2) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيُّ، عمدة الحُفّاظ: (دخل).
(3) الجوهريُّ، الصّحاح: (دخل).
(4) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيُّ، عمدة الحُفّاظ: (دخل).
(5) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 23/ 577 - 579.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة الاستئناف في ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ﴾ استئنافٌ ابتدائيٌّ؛ للانتقال مِن بسط التَّذكير والاستدلال إلى فذلكة الغرض وحَوْصَلَتِه؛ إشعارًا بانتهاء المقصود وتنبيهًا إلى فائدته، ووجه الانتفاع به، والحثِّ على التَّدبُّر فيه، واستثمار ثمرته، وباعتبار ما تفرَّع عن هذه الجملة مِن قوله: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ يَقوَى موقعُ الفذلكة للجُملة"[1].

إجمال للمأمول، وإدماج للمحصول

دلالة التَّوكيد بـ﴿إِنَّ﴾:

حرف التَّوكيد ﴿إِنَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ﴾ تأكيد لمضمون الجملة، فإنَّ قول القائل: (إنَّ زيدًا قائمٌ) ناب منابَ تكرير الجملة مرَّتين إلّا أنَّه أوْجَزُ وأخصَر مع حصول الغرض مِن التَّأكيد[2] وهذا التَّوكيد لجملة ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ﴾ جاء اهتمامًا بالخبر، وللرَّدِّ على مَن أنكر؛ "لأنَّ حال المخاطبين عدم اهتمامهم بها فهم ينكرون أنَّها تذكرة"[3].

لا يعتبر الجاحدون بالآيات، ولا يتذكَّرون بما فيها مِن عظات

الغرض مِن التَّعبير باسم الإشارة الدّالِّ على القرب ﴿هَٰذِهِۦ﴾:

الإشارة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ﴾ إلى الآيات المتقدِّمة أو إلى السّورة؛ ولذلك أُتي باسم الإشارة المؤنَّث[4]، وقد أوثر التَّعبير باسم الإشارة الدّالِّ على القرب؛ لتعظيم الآيات المشار إليها، ولبيان قربها مِن المتلقّي فكأنَّها ماثلة بين يديه، قد مُيِّزت أكمل تمييز بحيث يشار إليها، وفي هذا دليل على البيان والوضوح الذي فيها.

بيان حاضر وآيات كأنَّها ماثلة؛ فأعظم به بيانًا وأنعم بها تذكرة

---

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 411.
(2) ابن يعيش، شرح المفصَّل: 4/ 526.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 411.
(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 76، والآلوسي، روح المعاني: 15/ 184، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 411.

دلالة التَّعبير بالخبر ﴿تَذۡكِرَةٞۖ﴾ منكَّرًا:

عظة تأثيرها في النَّفس عظيم، ووقعها شامل وعميم

جاء التَّعبير بالخبر ﴿تَذۡكِرَةٞۖ﴾ منكَّرًا للمبالغة والتَّفخيم؛ "فهذه التَّذكرة توضِّح السَّبيل إلى اللّه سبحانه وإلى مرضاته"[1] "وهي عِظة مذكِّرة لما لا بدَّ منه في تحصيل السَّعادة الأبديَّة وهي اذِّكار بما غفلت عنه العقول"[2]، فلا جرم هي عظيمة فخيمة.

معنى الفاء ودلالتها في ﴿فَمَن شَآءَ﴾:

ليس الوعظ القرآنيُّ معلَّقًا، بل يقتضي بعد البيان أثرًا

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ﴾ للتَّفريع؛ حيث "فُرِّع على الحثِّ على سلوك سبيل مرضاة اللّه بقوله: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا﴾؛ أي: ليس بعد هذه التَّذكرة إلّا العمل بها إذا شاء المتذكِّر أنْ يعمل بها"[3].

الغرض مِن التَّعبير بأسلوب الشَّرط (مَن):

إلقاء المسؤوليَّة بالتَّخيير، مصحوب بحكمةٍ إلهيَّةٍ وحُسن تدبير

أوثر التَّعبير بأسلوب الشَّرط (مَن) في قوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا﴾؛ ليشمل الكلام كلَّ مَن له عقل وعلم؛ لجعل المسؤوليَّة ملقاةً على عاتقهم، ففي هذا "تحريض شديدٌ على المسارَعَة إلى الطّاعة؛ لأنَّ اللّه تعالى قد مكَّن النّاس مِن ذلك، حيث وهبهم الاختيار والعقول المفكِّرة، وأرسل إليهم الرُّسل ليخرجوهم مِن الظُّلمات إلى النّور"[4]. فليس بعد ذلك حُجَّة، ولكنَّ الكافرين بآيات اللّه يجحدون!.

دلالة التَّعبير بفعل الشَّرط ماضيًا ﴿شَآءَ﴾:

الاختيار محسوم وقائم؛ ولا يقوم به إلّا أولو العزائم

جيء بالفعل ﴿شَآءَ﴾ ماضيًا في قوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا﴾؛ لإفادة أنَّ مَن اتَّخذ إلى ربِّه سبيلًا هو مَن حقَّق مشيئة

(1) المظهريُّ، التَّفسير المظهريُّ: 10/ 163.
(2) البروسويُّ، روح البيان: 10/ 279.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 411.
(4) طنطاويُّ، التَّفسير الوسيط: 15/ 230.

ذلك؛ أي: الجادُّ العازم، لا المتلاعب المتهاون، "فمَن شاء أقام وجهه على هذا الطَّريق، ومَن شاء تنكَّبه، وأدار ظهره له"[1].

دلالة التَّعبير بفعل الجواب ماضيًا ﴿ٱتَّخَذَ﴾:

مَـن صدقت مشيئته، وصدقت إرادته كُتِب توفيقه وهدايته

عُبِّر بالماضي ﴿ٱتَّخَذَ﴾ في جملة جواب الشَّرط في قوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾؛ لإفادة تحقُّق الإعانة والتَّوفيق مِن الله على مجاهدة النَّفس، ومغالبة الهوى، لمَن صدقت مشيئتُه، وصحَّت هدايته، وكانت نفسه مقبلة على ما ألقى إليه سمعه. "واتِّخاذ السَّبيل إلى الله عبارة عن التَّقرُّب إليه"[2]، فلا يُقدِم على سلوك سُبل رضا ربِّه سبحانه إلّا مَن صدَق عزمُه، فليس الإيمان بالتَّمنِّي!.

بلاغة التعبير بالاستعارة في قوله: ﴿ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾:

رحلة الرّوح إلى ربِّها سبيلٌ عظيمٌ منجٍّ لها

قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ فيه استعارتان؛ ففي قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ استعارة تمثيليَّة؛ حيث استُعير الاتِّخاذ لسلوك الطَّريق الموصِّل إلى مرضاة الله سبحانه لتصوير الإيمان والسَّير في طريق الطّاعة وكأنَّه قرار عمليٌّ يحتاج إلى تهيُّؤٍ، وفي قوله تعالى: ﴿سَبِيلًا﴾ استعارة تصريحيَّة؛ حيث استُعير السَّبيل للطّاعة والأعمال الصّالحة الموصِّلة للفوز بالنَّعيم والزُّلفى؛ فشبِّهت أفعال الطّاعة وكلُّ ما يتقرَّب به العبد إلى الله سبحانه بالطَّريق الذي يهتدي به السّالك للوصول إلى مقصده ومُبتغاه، بجامع الاهتداء إلى ما يحقِّق الغاية المنشودة في كلٍّ؛ وهذا يجعل مِن سلوك الطَّريق الموصِّل إلى الله سبحانه مشهدًا حيا محسوسًا، فكأنَّ المتلقّي يمشي في طريق مستقيمٍ؛ ليصل بعد ذلك إلى غاية محدَّدة[3].

(1) عبد الكريم الخطيب، التَّفسير القرآنيُّ للقرآن: 15/ 1385.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 761.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 411 - 412.

الغرض من تقديم الجارِّ والمجرور:

إبـراز واهتمام بالمتوصَّل إليه قبل معرفة سبل الوصول إليه

قدِّم الجار والمجرور ﴿إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ على ﴿سَبِيلًا﴾ في قوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾؛ والمجرور لإبراز جهة المقصد (إلى الربِّ) قبل وصف الطَّريق الموصِّل؛ وفيه اختصاصٌ واهتمامٌ بالمآل؛ أي: إلى ربِّه خاصَّة، لا إلى غيره[1]؛ فجوهر التَّذكرة أن تكون موصِّلة إلى الله سبحانه فهو سبحانه الغاية مِن هذه التَّذكرة، كما أنَّ ذكر الله سبحانه فيها تنبيه للغافل، وتذكرة للعاقل؛ ولهذا قدِّم، وفيه مراعاة كذلك للفاصلة القرآنيَّة في السّورة المباركة.

معنى ﴿إِلَىٰ﴾ ودلالتها:

رضاه سبحانه هو غاية السّاعين، وإليه منتهى القاصدين

الأصل في معنى ﴿إِلَىٰ﴾ أنَّه موضوع للدَّلالة على انتهاء الغاية[2]، وهو المراد هنا في قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾؛ إذ جعل الرَّبَّ ﷻ غاية السُّلوك، فمنتهى غاية العبد هو الوصول إلى ربِّه بنيل مرضاته سبحانه، "ولا يختلف العقلاء في شرف ما يوصِّل إلى الرَّبِّ؛ أي: إلى إكرامه؛ لأنَّ ذلك قرارة الخيرات"[3].

إيثار التَّعبير بالرُّبوبيَّة مضافًا ﴿رَبِّهِۦ﴾:

مَن شملته العناية الرَّبّانيَّة نال السَّعادة الأبديَّة

أوثر التَّعبير بعنوان الرُّبوبيَّة مضافًا إلى ضمير الغائب ﴿رَبِّهِۦ﴾؛ إشعارًا بالقرب والرِّعاية التي يأنس بها مَن لاذ بحماه سبحانه؛ ترغيبًا في التَّقرُّب إليه بطاعته سبحانه فهو - سبحانه "المحسِن إليه الذي ينبغي له أنْ يحبَّه بجميع جوارحه وقلبه، ويجتهد في القُرب منه"[4]، وهو الذي يكلؤ كلَّ مَن تقرَّب إليه برعايته، ويشمله بعنايته؛ فلا يضامون، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

---

(1) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 21/ 162.

(2) سيبويه، الكتاب: 4/ 230، والزَّمخشريُّ، المفصَّل، ص: 380، وابن يعيش، شرح المفصَّل: 4/ 463، والسّامرّائيُّ، معاني النَّحو: 3/ 16.

(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 412.

(4) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 21/ 160، والخطيب، الشِّربيني، السِّراج المنير: 4/ 461.

الغرض من تنكير ﴿سَبِيلًا﴾:

جاء السَّبيل منكَّرًا لإفادة التَّعظيم والنَّوعيَّة؛ أي: أنَّ هذا السَّبيل المسلوك ينبغي أن تتوفَّر فيه شروطه مِن الإخلاص والتَّوحيد والمتابعة، فمَن سلك سبيلًا إلى ربِّه ليس فيه شروطه فهو مردود عليه، فمعنى النَّوعيَّة هنا ظاهر، ولمّا كان هذا السَّبيل موصِلًا إلى مرضاة الله تعالى والفوز بالجنَّة والنَّجاة مِن النّار - فلا شكَّ في أنَّه سبيل عظيمٌ رفيع الشَّأن، حيث إنَّه سبيل موصِّل إلى المولى العليِّ جلَّ في علاه، وقد بيَّن سبحانه الأمور غاية البيان، وكشف اللَّبس، وأزال جميع موانع الفهم، فلم يبق مانع مِن استطراق الطَّريق غير مشيئته سبحانه[1].

عظمت سبل الإرشاد، وكثرت طرق الإمداد

معنى (الواو) ودلالتها:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ عاطفة، والجملة بعدها "يجوز أن تكون معطوفة على جملة ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾، أو حالًا مِن ﴿مَن يَشَآءُ﴾، وهي على كلا الوجهين تتميمٌ واحتراسٌ"[2]، "وتحقيقٌ للحقِّ ببيان أنَّ مجرَّد مشيئتهم غير كافيةٍ في اتِّخاذ السَّبيل كما هو المفهوم مِن ظاهر الشَّرطيَّة؛ أي: وما تشاءون اتِّخاذ السَّبيل، ولا تقدرون على تحصيله في وقت مِن الأوقات إلّا وقت مشيئته تعالى تحصيلَه لكم؛ إذ لا دخل لمشيئة العبد إلّا في الكسب، وإنَّما التَّأثير والخلق لمشيئة الله ﷻ"[3].

احتراس وتتميم؛ ليُعلم أنَّ الأمر في حقيقته بيد الخالق العظيم

تنوع القراءات القرآنيَّة في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾:

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بخلفه: ﴿وَمَا يَشَآءُونَ﴾ بالياء، وقرأ الباقون بالتّاء، ووجه الياء قوله: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝٢٩ وَمَا يَشَآءُونَ﴾، ووجه التّاء أنَّه خطاب للكافَّة: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾؛ أي:

تنبيه ولفت للأنظار إلى حقيقة ما هم عليه مِن الاختيار

(1) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 21/ 160، والخطيب الشِّربينيُّ، السِّراج المنير: 4/ 461.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 412، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 328.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 76.

الطّاعة والاستقامة ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾، أو يكون حملا على الخطاب في مِنكُمْ[1].

وفي قراءة الجمهور بالتّاء: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ التفاتٌ إلى الخطاب عن الغَيْبة في قوله تعالى: ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ﴾؛ فمقتضى الظّاهر أن يقال: (وما يشاؤون)؛ ليلفت سبحانه أنظار المخاطبين إلى أنَّه لا مشيئة لهم على الحقيقة إلّا بعد مشيئته سبحانه، وفيه كذلك "نفي لقدرتهم على الاختراع وإيجاد المعاني في نفوسهم، ولا يردُّ هذا وجود ما لهم مِن الاكتساب والميل إلى الكفر"[2].

إيثار النَّفي بـ(ما) دون غيرها في ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾:

نفي قاطع لحول العباد، وإثبات حاسم لمشيئة ذي الطَّـــول والإمداد

(ما) آكد في النَّفي مِن أُختَيْها (ليس) (لم)، وهي أوسع استعمالًا منهما أيضًا، فإنَّ (ليس) مختصَّة بنفي الجُمل الاسميَّة، و(لم) مختصَّة بنفي الجُمل الفعليَّة، وأمّا (ما) فتنفي الجمل الفعليَّة والاسميَّة، كما أنَّها قد تأتي ردًّا على قولٍ أو ما نُزِّل هذه المنزلة[3] وقد جيء النَّفي بـ(ما) في الآية الكريمة؛ لإفادة النَّفي القاطع الحاسم الذي يقطع الطَّريق أمام الوهم أو التَّردُّد؛ فليس ثمَّة مجال لأنْ يشاء العبد شيئًا خارج إرادة الله، وفيه إبراز لضعف المشيئة البشريَّة، وهيمنة المشيئة الإلهيَّة.

بلاغة التعبير بأسلوب القصر بطريق النَّفي والاستثناء:

القـصـر بنفي واستثناء درءٌ لشبهة قد ترد حول قوله (فَمَنْ شاءَ)

عُبِّر بالقصر في قوله سبحانه: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾؛ لدفع توهُّم المتوهِّمين، والرَّدِّ على ما قد يرد على العقل مِن شُبهةٍ حول قضيَّة المشيئة؛ فقُصِر حصول مشيئتهم وتحقُّقها لهم على مشيئة الله ﷻ، فالمعنى: "وما تشاؤون أن تتَّخذوا إلى الله سبيلًا إلى النَّجاة، إلّا بمشيئة

(1) الفارسيُّ، الحُجَّة للقُرّاء السَّبعة: 6/ 361، وابن الجزريّ، النَّشر: 2/ 396، والبنّا، الإتحاف، ص: 566.

(2) ابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 5/ 415.

(3) سيبويه، الكتاب: 3/ 117، والسّامرّائيُّ، معاني النَّحو: 4/ 191 - 193.

اللّه، ولا يقدر أحد أن يهدي نفسه، ولا يدخل في الإيمان، ولا يجرَّ لنفسه نفعًا إلّا بتوفيق اللّه، فالأمر إليه سبحانه، ليس إلى عباده، والخير والشَّرُّ بيده، فمشيئة العبد وحدها لا تأتي بخير ولا تدفع شرًّا، إلّا إذا أذن اللّه بذلك، ولكنّ يثاب الإنسان على اختياره الخيرَ، ويعاقب على اختياره الشَّرَّ"[1]؛ ولأجل هذا جيء بأقوى طرق القصر تأكيدًا للمعاني وهو النَّفي والاستثناء الذي والقصر بالنَّفي والاستثناء يستعمَل غالبًا فيما ينكره المخاطَب[2]، وليتقرَّر ويستقرَّ ويتأكَّد في نفوس المخاطبين أنَّه لا مشيئة لهم ألبتَّة إلّا بمشيئة اللّه وحده سبحانه جلَّ في علاه.

دلالة التَّعبير بالمصدر المؤوَّل دون الصَّريح:

إبـــراز الـفـعـل للتَّأكيد، وإظهار للسُّلطان في كلّ تقييد

يفيد المصدر المؤوَّل الدَّلالة على الزَّمن لاشتماله على الفعل، وهو مع ﴿أَن﴾ يدلُّ على مجرَّد معنى الحدث دون احتمالٍ زائدٍ عليه، ففي ﴿أَن﴾ تحصين مِن الإشكال، وتخليصٌ له مِن شوائب الإجمال، كما أنَّ ﴿أَن﴾ والفعل قد تفيد الإباحة، ولا تفيد القطع بحصول الفعل، بخلاف المصدر الصَّريح، فليس فيه شيء مِن هذا[3] فالتَّعبير بالمصدر المؤوَّل في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ فيه تصريح بذِكر الفعل المسند إلى الاسم الأجلِّ الأحسن، وليس ذلك في المصدر الصَّريح. ولمّا كان ما بعد أداة الاستثناء حرفَ مصدر تعيَّن أنَّ المستثنى يُقَدَّر مصدرًا؛ أي: إلّا شيءُ اللّه (بمعنى: مشيئته)، وهو صالح لاعتبار المعنى المصدريّ، ولاعتبار الحالة، ولاعتبار الزَّمان؛ لأنَّ المصدر صالح لإرادة الثَّلاثة باختلاف التَّأويل، فإنْ قُدِّر مضافٌ كان المعنى: إلّا حالَ مشيئة اللّه، أو: إلّا زمنَ مشيئته، وإنْ لم يُقَدَّر مضافٌ كان المعنى: لا مشيئة لكم في الحقيقة إلّا تبعًا لمشيئة اللّه. وإيثار اجتلاب أن المصدرية من إعجاز القرآن"[4].

(1) الزُّحيليُّ، التَّفسير المنير: 29/ 307.
(2) السّامرّائيُّ، معاني النَّحو: 2/ 250 - 251.
(3) السّامرّائيُّ، معاني النَّحو: 3/ 147 - 149.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 413.

دلالة التَّعبير بالمضارع ﴿تَشَآءُونَ﴾:

تستمرُّ الإرادة البشريّة في ظلّ المشيئة الإلهيَّة

أوثر التَّعبير بصيغة المضارع في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ لإفادة تجدُّد أفعال العباد؛ أي أنَّ إرادتهم قائمة ومستمرَّة في كلِّ الأزمنة، لكنَّها - أبدًا - مقيَّدة بمشيئة الله سبحانه.

دلالة حذف مفعول المشيئة:

ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن

حذف مفعول المشيئة في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾؛ "لإفادة العموم، والتَّقدير: وما تشاؤون شيئًا أو مَشيئًا، وعمومُ الأشخاص يستلزم عمومَ الأحوال والأزمنة؛ أي: ما تشاؤون شيئًا في وقت مِن الأوقات أو في حال مِن الأحوال ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾"[1].

دلالة التَّعبير بالمضارع ﴿يَشَآءَ﴾:

مشيئة باقية، وسلطان مستمرٌّ

أحدث التَّعبير بصيغة المضارع في قوله سبحانه: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ توازنًا أسلوبيًّا بديعًا، فإنَّ صدْر الجملة تضمَّن فعلًا مضارعًا هو قوله تعالى: ﴿تَشَآءُونَ﴾، فعُبِّر بالمضارع كذلك في خاتمتها، وهو قول الله تعالى: ﴿يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ وقد أفاد ذلك أنَّ مشيئة الله دائمة متسمرِّة، فلا تنفكُّ مشيئة النّاس عن مشيئة الله تعالى، بل إنَّ مشيئة النّاس تابعة لمشيئة الله تعالى التي سبقت في الأزل، فصيغة المضارع في قوله تعالى: ﴿يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ لا تعني أنَّ مشيئة الله متجدِّدة وحادثة - تعالى الله عن ذلك - بل بما يُظهِره سبحانه لعباده ويُبديه لهم، فتظهر مشيئته وكأنَّها مسايرة لمشيئتهم، فكأنَّها حدثت الآن، وليس الأمر كذلك، فإنَّ مشيئة الله جلَّ ثناؤه ليست مرتبطة بزمان محدَّد؛ ممّا يبعث في النُّفوس إحساسًا بالهيمنة الدّائمة، وللرَّبط بين المشيئتين للتَّأكيد على أنَّ مشيئة العباد تابعة دائمًا لمشيئة الله سبحانه، فمتى وقعت المشيئة مِن العبد ومتى كانت فمشيئته سبحانه كائنة، وما شاء سبحانه كان، وما لم يشأ لم يكن.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 412، والآلوسي، روح المعاني: 15/ 184.

دلالة إسناد المشيئة للاسم الأحسن ﴿يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾:

إعـلام لقلوب البشر أنَّ الله هـو الـفـاعـل المـخـتـار، وأنَّـه المتصرِّف القهار

أوثر التَّعبير بالاسم الجليل ﴿ٱللَّهُ﴾؛ لبعث المهابة في نفوس المخاطَبين، و"إظهار قهر الألوهيَّة"[1]؛ فمِن لوازم الألوهيَّة العلوُّ والقهر والسُّلطان، فالاسم العظيم ﴿ٱللَّهُ﴾ يستدعي في النَّفس الخضوع والانقياد لمشيئته سبحانه وهو ما يقتضيه السّياق المخبر بأنَّه لا مشيئة للعبد إلّا بمشيئته ﷻ، حيث إنَّه سبحانه "المَلِك الأعلى الذي له الأمر كلُّه والمُلْك كلُّه على حسب ما يريد ويقدر"[2].

علَّة الفصل:

دامت مشيئته، وعظمت حكمته

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ استئناف بيانيٌّ ناشئ عن سؤال مقدَّر يسوق إليه قولُه تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾، فكأنَّه قيل: لِمَ؟ فالجواب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، فهو واقع موقع التَّعليل لما سبق، حيث "قد علَّل ارتباط حصول مشيئتهم بمشيئة الله، بأنَّ الله عليمٌ حكيمٌ؛ أي: عليم بوسائل إيجاد مشيئتهم الخير، حكيمٌ بدقائق ذلك ممّا لا تبلغ إلى معرفة دقائقه بالكُنْه عقولُ النّاس؛ لأنَّ هنالك تصرفاتٍ عُلْوِيَّةً لا يبلغ النّاس مبلغ الاطِّلاع على تفصيلها، ولكن حسبهم الاهتداء بآثارها، وتزكية أنفسهم للصَّدِّ عن الإعراض عن التَّدبُّر فيها"[3].

بلاغة الإطناب بالتَّذييل:

لـلـه سبحانه الـحـكـمـة الـبـالـغـة، والـحُـجَّـة الدّامغة

ذُيِّلت الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ لبيان أنَّه سبحانه عليم بمَن يستحقُّ الهداية فييسِّرها له ويقيِّض له أسبابَها، ومَن يستحقُّ الغواية فيصرفه عن الهُدى، وله الحكمة البالغة، والحُجَّة الدّامغة[4]، فهو تذييل أو تعليل لجملة ﴿يُدْخِلُ مَن

(1) القنَّوجيُّ، فتح البيان: 10/ 280.
(2) الخطيب، الشِّربينيُّ، السِّراج المنير: 4/ 461.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 413.
(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 452.

يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾؛ أي: لأنَّه واجب له العلم والحكمة فهو أعلم، فمَن شاء أنْ يدخله في رحمته، ومَن شاء أبعده عنها[1]. وهذا التَّذييل جارٍ مجرى المَثَل مِن حيث كونه مستقلًّا بمعناه عمّا قبله.

موقع جملة ﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾ مِن الإعراب ودلالته:

يجوز أن تكون الجملة مستأنَفَة استئنافًا بيانيًّا ناشئًا عن جملة ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾؛ إذ يتساءل السّامع عن أثر مشيئة اللّه في حال مَن اتَّخذ إلى ربّه سبيلًا ومَن لم يتَّخذ إليه سبيلًا، فيُجاب بأنَّه سبحانه يُدخِل في رحمته مَن شاء أنْ يتَّخذ إليه سبيلًا، وأنَّه تعالى قد أعدَّ لمَن لم يتَّخذ إليه سبيلًا عذابًا أليمًا، وأولئك هم الظّالمون.

فعل الله وكمال مشيئته يجريان على حسب عِلمه وحكمته

ويجوز أن تكون الجملة خبرَ ﴿إِنَّ﴾ في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ وتكون جملة ﴿كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ معترِضَةً بين اسم ﴿إِنَّ﴾ وخبرها أو حالًا، وهي على التَّقديرَيْن مُنبِئة بأنَّ إجراءَ وصفَي العليم الحكيم على اسم الجلالة مرادٌ به التَّنبيه على أنَّ فِعله كلَّه مِن جزاءٍ برحمةٍ أو بعذابٍ جارٍ على حسب علمه وحكمته[2]، "فالجملة مقرِّرة لما فُهِمَ مِن قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾؛ ولذا اختير الفصل"[3].

دلالة التَّعبير بالمضارع ﴿يُدۡخِلُ﴾، و﴿يَشَآءُ﴾:

صيغة المضارع في قوله تعالى: ﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾ للاستمرار، لئلّا يتعنَّت متعنِّت ممَّن هو متلبِّس بالضَّلال فيقول: أنا لا أصلح لأنَّه ما أدخلني[4].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 413.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 416.
(3) القونويُّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 19/ 503.
(4) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 12/ 162، والقونويُّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 19/ 503.

الغرض من التَّعبير بالموصول وصلته ﴿مَن يَشَآءُ﴾:

عُبِّر بالموصول العامّ وصلته في ﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾ لإفادة أنَّ الوصف الذي تضمَّنتْه جملةُ الصِّلة، وهو قوله تعالى: ﴿يَشَآءُ﴾ هو العِلَّة في الحُكم، فإنَّه لا يَدخُل أحدٌ في رحمة الله تعالى إلّا بمشيئته سبحانه، فقوله: ﴿مَن يَشَآءُ﴾ فيه تنبيه على أنَّ التَّوفيق واللُّطف ليس بواجب، بل هو بفضلٍ في رحمته وإحسانه[1].

لا يَدخُل في رحمة الله إلّا مَن شاء الله

معنى ﴿فِي﴾ ودلالتها ﴿فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾:

الأصل في معنى ﴿فِي﴾ أنَّه موضوع للدَّلالة على الظَّرفيَّة والوعاء، مكانيَّة أو زمانيَّة، حقيقيَّة أو مجازيَّة[2]. وهو المراد هنا، حيث أفاد الحرف معنى الإحاطة والشُّمول، فكأنَّ الرَّحمة وعاءٌ محيط بالمؤمنين مِن كلِّ جانب، وهو مفيد كذلك معنى التَّمكُّن والمبالغة، فالرَّحمة لا تصلهم فقط، بل تغشاهم وتُجللهم حتَّى تأتي على كلِّ جزءٍ فيهم. وفيه هذا التَّعبير الدَّقيق ترغيبٌ في الإقبال على الله بفعل مراضيه، ونبذ معاصيه.

مَن تقرَّب إلى مولاه بفعل الطّاعات غمرته الرَّحمة وعمَّته البركات

بلاغة التَّعبير بالمجاز المرسَل ﴿رَحۡمَتِهِۦۚ﴾:

في التَّعبير بالرَّحمة في قوله تعالى: ﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾ مجازٌ مرسَل عَلاقته المحليَّة؛ "لأنَّ الرَّحمة هي السَّبب الموصِّل للجنَّة، وأنَّه بغير رحمة الله لا سبيل لأحدٍ إلى الجنَّة"[3]، والمراد بالرَّحمة "هاهنا: الجنَّة"[4]؛ إذ هي "محلُّ الرَّحمة"[5] وفي التَّعبير بالمجاز هنا تلطُّف في عرض النَّعيم، وإبراز أنَّ الجنَّة أثرٌ مِن آثار رحمة الله الواسعة.

تلطُّف في عرض النَّعيم، وإبراز لصور الخير العميم

(1) القونويُّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 19/ 503.
(2) سيبويه، الكتاب: 4/ 226، والزَّمخشريُّ، المفصَّل، ص: 381، وابن يعيش، شرح المفصَّل: 4/ 471، والسّامرّائيُّ، معاني النَّحو: 3/ 57.
(3) عبد الكريم الخطيب، التَّفسير القرآنيُّ للقرآن: 15/ 1387.
(4) ابن الجوزيّ، زاد المسير: 4/ 381.
(5) المظهريُّ، التَّفسير المظهريُّ: 10/ 163.

معنى الواو ودلالتها في ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

مقابلة بين جزاء الفريقيْن إبرازًا للعدالة الإلهيَّة، وتأكيدًا للإحاطة الكليَّة

الواو في قوله تعالى: ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾ عاطفة[1]؛ عطفت جملة ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ على قوله تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ﴾؛ إظهارًا للمقابلة بين جزاء الفريقيْن ترغيبًا وترهيبًا، وتأكيدًا لشمول العِلم والحكمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

الغرض مِن تقديم ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

تشنيع على الظّالمين، وتخصيصهم بالجزاء المهين

أوثر تقديم لفظ ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾؛ لجعل انتباه المخاطب يقع مباشرة على الوصف القبيح المذموم في الآية الكريمة، "والمراد بالظّالمين الكافرون؛ إذ الشِّرك ظُلمٌ عظيم، وغيَّر الأسلوب تنبيهًا على أنَّ كُفرهم داء أصابهم بسوء اختيارهم وعدم تأمُّلهم"[2].

"وانتصب الظّالمين على أنَّه مفعول لفعل محذوف يدلُّ عليه المذكور، على طريقة الاشتغالِ. والتَّقديرُ: أوعد الظّالمين، أو كافأ، أو نحو ذلك ممّا يقدِّره السّامع مناسبًا للفعل المذكور بعده"[3].

دلالة مجيء ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾ على صيغة اسم الفاعلين:

درجوا على مجافاة الطّاعات، ومقارفة المحرَّمات؛ فأُهينوا بأبشع المذمّات

أفاد التَّعبير بصيغة اسم الفاعلين في قوله تعالى: ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾؛ ثبوت الوصف للموصوفين حتَّى صار سجيَّة لهم، فليس حدثًا طارئًا عليهم، بل هم "عريقون في وصف المشي على غير سَنَن مَرضيٍّ كالماشي في الظَّلام؛ فهو يدخلهم في نقمته"[4].

دلالة التَّعبير بالماضي ﴿أَعَدَّ﴾:

أوثر التَّعبير بصيغة الماضي في قوله تعالى: ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 328.
(2) القونويُّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 19/ 503.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 416.
(4) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 21/ 162.

﴿أَلِيمًا﴾ لإفادة تحقُّق الوقوع، وأنَّه قد بولغ في التَّهديد والوعيد، فالعقاب مُعَدٌّ سلفًا، منتظِر مستحقّه، متغيّظ عليه. والمعنى: أنَّه قد جفَّ القلم بما هو كائن؛ لأنَّ معنى ﴿أَعَدَّ﴾ أنَّه علم ذلك وقضى به، وأخبر عنه وكتبه في اللَّوح المحفوظ، ومعلوم أنَّ التَّغيير على هذه الأشياء محال؛ فلا يزاد فيه ولا ينقص أبدًا[1]. وقوله تعالى: "﴿أَعَدَّ لَهُمْ﴾ مثلُ أوعد وكافأ؛ ليطابق الجمل المعطوف عليها"[2].

تحقُّق الإعداد ترهيبٌ للاستعداد ليوم المعاد

الغرض من تقديم شبه الجملة، ومعنى اللّام ودلالتها:

اللّام لام الاختصاص؛ أي: لهم خاصَّة، وقدِّم شبه الجملة ﴿لَهُمْ﴾ على المفعول به ﴿عَذَابًا﴾ في قوله تعالى: ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ لتوكيد هذا الاختصاص، فهذا العذاب لهم وحدهم، لا يشاركهم فيه غيرُهم، وليشعر السّامع كذلك بثقل الوعيد، وفيه - مع ما تقدَّم - مراعاة للفاصلة القرآنيَّة في السّورة المباركة.

تشديد في التَّهديد وتخصيص بالوعيد

بلاغة الاحتباك:

في قوله تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ احتباكٌ، حيث ذكر الإدخال والرَّحمة أوَّلًا دلالةً على الضِّدّ ثانيًا، وذكر العذابَ ثانيًا دلالةً على الثَّواب أوَّلًا، وتقدير الاحتباك: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ﴾، ويُخرِج مَن يشاء مِنها، ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، والأبرار أعدَّ لهم نعيمًا مقيمًا.

أعدَّ الله للأبرار نعيمًا مقيما، وللظّالمين عذابًا أليما

وسرُّ ذلك أنَّ ما ذكره أوْلى بترغيب أهل العدل فيه وإن ساءت حالهم في الدُّنيا، وبترهيب أهلِ الظُّلم منه وإنْ حَسُنت حالهم في الدُّنيا، فقد رجع هذا الآخر المفصَّل إلى السَّعادة والشَّقاوة على أوَّلها المؤْذِن بأنَّ الإنسان معتنًى به غاية الاعتناء، وأنَّه ما خُلِق

(1) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 21/ 163.
(2) الخطيب، الشِّربينيُّ، السِّراج المنير: 4/ 461.

إلّا للابتلاء، فهو إمّا كافرٌ مغضوبٌ عليه، وإمّا شاكر منظور بعين الرِّضا إليه. فسبحان مَن خَلَقَنا، ويُميتُنا، ويُحيينا بقدرته[1].

الغرض من تنكير ﴿عَذَابًا﴾، وسر وصفه بـ﴿أَلِيمًا﴾:

عـظـم الـظُّـلـمُ والإجرام؛ فهوَّل العذاب ووُصِف بالإيلام

جاء قوله: ﴿عَذَابًا﴾ مُنَكَّرًا لإفادة التَّعظيم والتَّفخيم، حيث إنَّه "لا عذاب أشدَّ منه إيلامًا وأفزع انتقامًا، ألا وهو حرمانهم عن ساحة عزِّ القبول"[2] ووصف بـ﴿أَلِيمًا﴾ للزِّيادة في التَّهويل مِن شأن هذا العذاب الذي أعدَّه الله لمَن ظلموا أنفسهم بمقارفة معصيته، ومجافاة سبل هدايته، والمعنى: أعدَّ لهم عذابًا "متناهيًا في الإيلام"[3].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

التَّذكرة والموعظة:

التَّذكِرَة ما يُتَذَكَّر به الشَّيء[4]. والوَعظ والعِظة والموعظة: تَذكير الإنسان بما يُلَيِّنُ قلبَه مِن ثوابٍ وعِقاب[5] والتَّذكِرةُ تَصلح لمعنى التَّذكير والوعظ؛ لأنَّ الإنسانَ إذا تذكَّر فقد يزدجر ويترك الكفر ويؤمِن[6]. وقد أوثِر لفظ (التَّذكِرة) دون (الموعظة) في قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾ لِما في السّورة مِن تذكيرِ الإنسان بنِعمةِ الإيجادِ والخَلق، وتذكيرِه بما أعَدَّه الله – ﷻ – للكافرين مِن العذاب والعقاب، وما أعَدَّه ﷻ لعبادِه الأبرار مِن النَّعيم في الجنَّة. ويُضاف إلى هذا أنَّ اسم السّورة هو (سورة الإنسان)؛ فعَلَى القولِ الذي يقول باشتقاقِ لفظ الإنسان مِن (النِّسيان)[7] كان في إيثار لفظ (التَّذكِرَة) دون (الموعظة) مناسَبَةٌ لذلك.

التَّذكِرَةُ صالحةٌ لمعنى التَّذكير والوَعظ

(1) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 21/ 163، ومحمّد الهلال، تفسير القرآن الثَّريُّ الجامع: 12/ 225.
(2) النَّخجوانيُّ، الفواتح الإلهيَّة: 2/ 472.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 185.
(4) الرّاغب، المفردات: (ذكر).
(5) ابن سيده، المحكَم: (وعظ).
(6) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ذكر).
(7) السَّمين الحلبيُّ، عمدة الحُفّاظ: (نسي).

الدُّخول والوُلوج:

الدُّخول أعَمُّ وأوسَعُ مِن الوُلوج

الوُلوج يختصُّ بالدُّخول في مضيقٍ؛ ولذا أوثِر لفظُه دون (الدُّخول) في قول الله ﷻ: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ﴾ [الأعراف: 40][1] وأوثِر لفظُ (الإدخال) دون (الإيلاج) في قول الله ﷻ: ﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾؛ لأنَّ رحمةَ الله ﷻ واسعة. وقال القرطبيُّ: "أي: يُدخِلُه الجنَّةَ راحمًا له"[2].

والدُّخول في الشَّيء يقتضي المكوثَ فيه مدَّةً تطول أو تقصر، أو يقتضي الاستقرارَ فيه وعدم الخروج منه؛ وأوثِر لفظ (الدُّخول) دون (الولوج) في قول الله ﷻ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [النِّساء: 124]؛ لِسِعَةِ الجَنَّة وعدمِ خروجِهم منها.

والولوج يشير إلى خروجٍ بعدَه[3]؛ ولذا أوثِر لفظ (الولوج) دون (الدُّخول) في قول الله ﷻ: ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا﴾ [سبأ: 2]؛ فإنَّ ما يدخل فيها مِن الماء[4] يخرج بأمر الله ﷻ وقدرتِه، وما يدخل فيها مِن البُذور[5] يخرجه الله ﷻ زرعًا، والذين يدخلون فيها مِن الأموات[6] يُخرجهم الله ﷻ أحياءً يوم البعث[7].

والإيلاج يدلُّ على إدخالِ شيءٍ في شيءٍ شيئًا فشيئًا[8]؛ ولذا أوثِر لفظُه دون الإدخال في قول الله ﷻ: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ [الحجّ: 61]؛ فمُثِّل بالإيلاج اختفاءُ ظلام اللَّيل عند ظهور نور النَّهار وعكسه تشبيهًا لذلك التَّصيير بإدخال جسمٍ في جسمٍ

(1) الرّاغب، المفردات: (ولج).
(2) القرطبيُّ، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 153.
(3) عبد الجبّار فتحي زيدان، الفروقُ اللُّغويَّة في القرآن الكريم، ص: 522، 523.
(4) البغويُّ، معالم التَّنزيل: 6/ 383، والقرطبيُّ، الجامع لأحكام القرآن: 14/ 259.
(5) الماورديُّ، النُّكت والعيون: 4/ 432.
(6) الماورديُّ، النُّكت والعيون: 4/ 432، والبغويُّ، معالم التَّنزيل: 6/ 383، والقرطبيُّ، الجامع لأحكام القرآن: 14/ 259.
(7) البغويُّ، معالم التَّنزيل: 6/ 383.
(8) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 17/ 315.

آخر، فإيلاج اللَّيل في النَّهار: غشيان ضَوء النَّهار على ظلمة اللَّيل، وإيلاج النَّهار في اللَّيل: غشيان ظلمة اللَّيل على ما كان من ضَوء النَّهار؛ فالمولَج هو المختفي، فإيلاج اللَّيل انقضاؤه. واستعارة الإيلاج لذلك استعارة بديعة؛ لأنَّ تَقَلُّصَ ظلمة اللَّيل يحصل تدريجًا، وكذلك تقلُّص ضوء النَّهار يحصل تدريجًا، فأشبه ذلك إيلاجَ شيءٍ في شيءٍ إذ يبدو داخلًا فيه شيئًا فشيئًا[1].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 17/ 315.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والستون،
من سورة القِيَامة إلى سورة النَّازعَات الآية 26
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والستون، من سورة القِيَامة إلى سورة النَّازعَات الآية 26
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 65 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-646-17-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 65 : المجلد الخامس والستون، من سورة القِيَامة إلى سورة النَّازعَات الآية 26.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-646-17-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2525407 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"